مطاعن الحاقدين في القرآن الكريم
الوسائل والأسباب

إعداد

أ/ منى ردمان علي أحمد العبسي

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأصلي وأسلم على البشير النذير محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وأزواجه، وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب الله عز وجل هو المعجزة الخالدة، بها صلح أمر الأولين، وسيصلح بها أمر الآخرين، إن هم ساروا على نهجها، واهتدوا بهداها، تلك المعجزة التي وقف ضدها أعداء الدين منذ نزولها على الحبيب المصطفى الأمين، وإلى اليوم والغارات تشن حولها، وما ذاك وهذا إلا للعلم اليقين بمدى تأثيرها على القلوب إن هي تمكنت منها، فما كان منهم إلا أن بذلوا كل ما في وسعهم للنيل منها، محاولين – بزعمهم- إبطالها، مخفين وراء ذلك أهدافًا يسعون لتحقيقها للوصول إلى غايات رسموها لأنفسهم، لكن نور الله غالب على من أراد إطفاءه، فقد قيض الله لهذا الدين من يدافع عن حماه، وكلما استجدت محاولات الطعن في كتاب الله، وجدت أمامها حملات أبرزت وسائلها، وأسبابها، وأهدافها، ليتم اتقاؤها، وقد جاء موضوع هذا البحث، لبيان ما أثير حول كتاب الله من مطاعن، فكان عنوانه:(مطاعن الحاقدين في القرآن...الوسائل والأسباب)، هذا وإني أسأل الله جل في علاه أن يلهمني الصواب، وأن يمن عليّ بفضله، ويعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، هو أكرم مسؤول وخير مأمول.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

لا شك أن لهذا الموضوع أهمية بالغة، كونه يكشف عن مخططات اشتغلت بالطعن في كتاب الله عز وجل، فالمرء حين يتبين وسائل عدوه، وأسبابه الكامنة وراء هذه الوسائل، يستطيع إلى حد كبير الحد منها، والوقوف ضدها، والحذر منها، كيف وهذه الأسباب وتلك الوسائل قد طعنت في أغلى ما يملكه المسلم، كتاب الله العزيز، ومن هذه الأهمية التي شملها الموضوع جاء سبب اختياره.

أهداف البحث:

ـ إبراز أهم الوسائل التي استخدمها أعداء القرآن لتشويه صورته أمام العالمين.

ـ معرفة أبرز الأسباب التي دفعت هؤلاء الحاقدين للطعن في القرآن الكريم.

تحديد المشكلة:

مشكلة البحث تدور حول دراسة الوسائل والأسباب التي استخدمها الحاقدون للطعن في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي لم أقف على دراسة هكذا عنوانها (الطعن في القرآن الكريم وسائله وأسبابه)، لكن محتوى هذه الدراسة قد شملته العديد من المؤلفات والدراسات والمقالات، ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال:

ـ دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، د/عبد المحسن بن زين المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1 (1427هـ- 2006م).

ـ ماذا يريد الغرب من القرآن، د. عبد الراضي المحسن، مجلة البيان، ط1 (1427هـ- 2006م).

ـ آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة ونقد، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة- الرياض، ط1 (1413هـ- 1992م).

ـ أسرار الهجوم على الإسلام، د.علي بن علي الشدي، دار الوطن للنشر.

ـ هجوم الإنترنت على القرآن- محاولات ساقطة لمعارضة القرآن وسب نبي الإسلام، أ.د. توفيق علوان، دار بلنسية.

وعلى حدود الإجمال فإن أحد هذه المؤلفات أو كلها لم تجمع بين الوسائل والأسباب، فربما انفردت بأحدهما دون ذكر للآخر، مع أهمية أن تكون هناك دراسة شاملة وجامعة لكل من الوسائل والأسباب تحت عنوان واحد، والذي - بإذن الله تعالى- ستتضمنه هذه الدراسة.

منهج البحث:

اتبعت في البحث المنهج التحليلي النقدي، حيث قمت ببيان الوسائل التي استخدمت قديمًا وحديثًا للطعن في القرآن، والأسباب الكامنة وراء تلك الوسائل، مع بيان حقيقة هذه الأسباب، والرد على تلك الوسائل، وبيان ضعفها.

خطة البحث:

واشتملت على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، وبيان ذلك كالتالي:

المقدمة وشملت:

أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهداف البحث، وتحديد المشكلة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومحتويات البحث.

الفصل الأول: الطعن في القرآن الكريم وشمل:

المبحث الأول: تعريف الطعن في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تاريخ الطعن في القرآن الكريم واستمراره منذ عهد النبوة.

الفصل الثاني: وسائل وأسباب الطعن في القرآن الكريم وشمل:
المبحث الأول: وسائل الطعن في القرآن الكريم والرد عليها.
المبحث الثاني: أسباب الطعن في القرآن الكريم وبيان حقيقتها
الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول : الطعن في القرآن الكريم: ويشمل:
المبحث الأول: تعريف الطعن في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: تاريخ الطعن في القرآن الكريم واستمراره منذ عهد النبوة.

المبحث الأول : تعريف الطعن في القرآن الكريم

- تعريف الطعن:

"[طعن]: طعنه بالرمح، وطعن في السن يطعُن بالضم طعنًا. وطعن فيه بالقول: يطعن أيضا طعنًا وطعنانا، وفى الحديث: "ليس المؤمن بالطعان"[1] يعنى في أعراض الناس"[2].

"وهو يكونُ بالحَرْبة والسِّكّين، والعُود، وقيل: الطّعنان باللسان، والطّعْن بالرمح"[3].

"إذن لكلمة طعن: معنيان: حسي، ومعنوي: فالحسي: بمعنى الضرب بآلة حادة، كالخنجر، والمعنوي: بمعنى القدح في الشيء، سواء كان نسبًا، أو كتابًا، أو شخصًا، أو غير ذلك"[4].

- تعريف القرآن في الاصطلاح:

"كلام الله المعجز، المنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[5].

مما سبق يمكن أن نستخلص تعريفًا لـ:

الطعن في القرآن الكريم:

وهو القدح في كتاب الله عز وجل، بأي نوع من أنواع القدح، ونسبة ما ليس فيه إليه، لغرض من الأغراض، تتعلق بنوايا هؤلاء القادحين. والله أعلم.

---

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ج1/ 116، باب: ليس المؤمن بالطعان، قال البخاري: صحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط3 (1409هـ- 1989م).

(2) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري: ج6/ 272، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم -بيروت – لبنان، ط4 (1407 هـ - 1987م).

(3) ينظر: المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بابن سيده: ج2/ 53، باب: الطعن ونعوته، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1(1417هـ 1996م).

(4) ينظر: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، د/ عبد المحسن بن زين المطيري: ص: 25، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1 (1427هـ- 2006م).

(5) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: ج1/ 21، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1 (1415هـ- 1995م).

المبحث الثاني : تاريخ الطعن في القرآن الكريم واستمراره منذ عهد النبوة

منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها القرآن على رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وبدأ فيها بالجهر بدعوته عليه الصلاة والسلام، اتجهت نحوه دعاوى التكذيب، والاتهامات، والافتراءات، ممن أشركوا بدعوته، على الرغم من حرصه –صلى الله عليه وسلم- على بيان أن ذلك إنما تلقاه وحي يوحى إليه من ربه سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل: {**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** } [النمل: 6]، وقال جل شأنه: {الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [السجدة: 1، 2]، إلا أن المشركين سعوا جاهدين لإبطال ما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبدؤوا يصبون التهم على ما جاء به رسول الله – عليه الصلاة والسلام-، كل ذلك من أجل تحطيم دعوته، والتشكيك في صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، فقالوا عنه: كاهن، ساحر، شاعر، وقالوا عن القرآن: سحر، أساطير الأولين، شعر، تعلمه من غيره، كذب مفترى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم!

والقرآن في هذا كله قد سطر عنهم هذه الافتراءات التي نسبوها إليه، قال جل شأنه: **{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ** } [الزخرف: 30]، وقال عنهم: {**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }** [الأنفال: 31]، **وقال عز من قائل: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ } [الأنبياء: 5]، ومما سجل عنهم أيضًا قولهم: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل: 103]، وقال عنهم: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** } [سبأ: 43].

إذن هم في هذا كله يشككون في المصدر الإلهي للقرآن، وأنه منزل من عند الله عز وجل، على الرغم من تأثرهم بسماعه كثيرًا، لكن المكابرة، والعناد، وحرصهم على اتباع ما ورثوه من آبائهم، من عبادة الأصنام، كل ذلك حال دون وصول هذا التأثر إلى شغاف قلوبهم!

من ذلك(6) ما جاء عن الوليد بن المغيرة قوله عن القرآن، بعد أن جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وسمع منه، فرق قلبه، وعاد إلى قومه، وقال قولته الشهيرة- رادًّا بذلك على أبي جهل حين راجعه: " والله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى! قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: هذا سحر يأثره عن غيره"، فنزلت الآيات: **{ذَرْنِي**

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ج29/ 195، تقديم الشيخ: خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } [المدثر: 11]، إلى قوله عز وجل: {**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**} [المدثر: 24] .

"أيضًا جاء الطعن في القرآن الكريم على أيدي حسدة الناس الذين لم يهتدوا بهدي القرآن، من اليهود والنصارى والمجوس، الذين لجأوا إلى التقول على القرآن، منذ تنزل، كما جاء في الأثر الذي أخرجه ابن جرير[7]والسيوطي[8] عن ابن عباس رضي الله قال: ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سماهم، فقالوا: كيف نتبعك، وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئتنا به لا نراه متناسقًا كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتابًا نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله: {**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** } [الإسراء: 88]، فاتضح أن اليهود أول من طعن في تناسق القرآن"[9].

ثم برز أيضًا في زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- رجلٌ كان يسأل عن متشابه القرآن، حكى الإمام الدارمي في سننه، هذه القصة بسنده، حيث قال: "إن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين؛ حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب، فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب، فتصيبك مني به العقوبة الموجعة، فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة[10]، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه، حتى برأ فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئت. فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته)) [11].

ثم إنه بعد ذلك بزمن، شاع وبرز من يشكك في القرآن الكريم، ويدعي التعارض بين آياته، وأنه متناقض، كالذي اشتهر على يد الزنادقة[12] من القول بذلك، فقيض الله لهم من يرد

---

(7) ينظر: المرجع السابق: ج15/ 198.

(8) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي: ص131، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(9) ينظر: آراء العلماء في تحديد أوجه الإعجاز، د. عبد الله القرني: ص 6، مكة المكرمة.

(10) كناية عن تغير لونه من شدة الضرب، والله أعلم؛ لأن الوبرة أنثى حيوان لونه بين الغبرة والسواد. ينظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين: ج2/ 1008، باب: الواو، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(11) سنن الدارمي، أبو محمد الدارمي: ج1/ 67، تحقيق : فواز زمرلي، وآخر معه، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1(1407هـ)، ومثلها قصة مسائل نافع ابن الأزرق مع ابن عباس.ينظر: دعاوى الطاعنين:ص44

(12) زندق: الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، والزندقة: الضيق، وقيل: الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه. وفي التهذيب: الزنديق معروف، وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ج10/ 147، باب: زندق، أدب الحوزة - 1405هـ. قال الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال: "عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل.أحسب أن عليا حرقه بالنار، وقد قال الجوزجاني: زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، فنهاه علي بعد ما هم به".ينظر: ميزان الاعتدال، لمحمد الذهبي: ج2/ 193، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

دعواهم هذه، على يد إمام أهل السنة والجماعة، في رسالة عنونها بـ: (الرد على الزنادقة والجهمية) فيما شكت فيه من متشابه القرآن، وما ادعوه من تعارض آي القرآن(13).

وهكذا كلما تجددت هذه المطاعن، فإن الله عز وجل يقيض لهذا الدين من يدافع عن حماه، ضد الطاعنين والمفترين، وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إن الله قد "جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم"(14).

الفصل الثاني : الطعن في القرآن الكريم ... وسائله...وأسبابه ويضم :

المبحث الأول: وسائل الطعن في القرآن الكريم والرد عليها.

المبحث الثاني: أسباب الطعن في القرآن الكريم وبيان حقيقتها.

المبحث الأول : وسائل الطعن في القرآن الكريم والرد عليها

لقيت دعوة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- جحودًا وإنكارًا، منذ نشأتها، واختلفت وسائل هذا الجحود والإنكار، في النيل مما جاء به، وهو القرآن الكريم، ولقد سبقت الإشارة إلى طرف يسير من ذلك، عند الحديث عن تاريخ الطعن في القرآن، وفيما يلي استعراض لتنوع هذه الوسائل التي استخدمها الطاعنون، في كتاب الله الكريم،

سواء من ذلك: ما استخدمه المشركون قديمًا، أو ما جاء بعد ذلك:

- الافتراءات، والمزاعم الباطلة، والتهم التي وجهت إلى هذا القرآن، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما رماه به مشركو مكة من السحر، والكذب، واختلاق القرآن من تلقاء نفسه، وتعلمه من غيره، وكل ذلك قد سبقت الإشارة إليه.

- الجدل بالباطل: "قال ابن زيد، في قوله تعالى:**(وَكَانَ الإنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا)** (الكهف: 54) قال: الجدل: الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم، وردّهم عليهم ما جاءوا به. وقرأ: **(مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ))** (المؤمنون: 33)، ومما قرأ: **((لو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين))** (الأنعام: 7)" (15).

(13) رد عليهم في كتابه هذا اثنين وعشرين مسألة، ادعوا فيها أن القرآن متناقض في آياته. ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل: ص60- 92، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط1(1424هـ- 2003م).

(14) ينظر: المرجع السابق: ص55-56.

(15) ينظر: تفسير الطبري: ج18/ 48- 49.

ومن ذلك أيضًا: "مجادلتهم في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونهم، وقولهم لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا، كما في قوله تعالى: **(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)** [الزخرف: 31]" [16].

- استخدموا وسائل لـ"صد الناس عند تلاوة القرآن الكريم، وذلك بالتصفيق، والتصفير، وإثارة الشكوك حوله، ظنًّا منهم أن ذلك مجلبة للغلبة والنصر، كما حكى ذلك القرآن عنهم، قال جل شأنه: **(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)** [فصلت: 26]" [17].

"قال مجاهد: (والغوا فيه) يعني: بالمكاء والصفير، والتخليط في المنطق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا قرأ القرآن قريش تفعله"[18].

أما الرد على مثل هذه الوسائل التي اتخذت، كقولهم أن النبي كاذب، وساحر، وما شابهه، فيأتي مما سطرته أقوالهم أنفسهم، فهذا أبو جهل يجيب عن سؤال وجه إليه عن صدق النبي صلى الله عليه وسلم: "قال المسور بن مخرمة: قلت لأبي جهل -وكان خالي -: يا خال هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي، لقد كان محمد وهو شاب يدعى فينا الأمين، فلما وخطه الشيب لم يكن ليكذب!"[19].

أما اتهامهم للقرآن بأنه مما تعلمه من غيره، فلماذا لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، وقد تحداهم القرآن بذلك، أم أنهم وقفوا عاجزين أمامه!

وأما قولهم إنما هو افتراء محمد صلى الله عليه وسلم، فإن في القرآن ما يبطل هذا الزعم، قال تعالى: **(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين)** [الحاقة: 44- 45].

ومعنى: (تَقَوَّلَ) أي: "تكلف وأتى بقول من قبل نفسه"[20]، فكيف يُقال بعد ذلك أنه من تلقاء نفسه، وقد حوى ما سبقت الإشارة إليه في الآية!

ويبدو أن مشركي قريش ومن سار على نهجهم، في الإنكار فيما تلت ذلك من العصور، قد هيأوا الأرض الخصبة لانتشار مثل هذه المطاعن حول القرآن الكريم، بل ربما الزيادة عليها، فمهما تعددت هذه المطاعن، وأخذت أشكالاً، وألوانًا، إلا أنها في النهاية تصب في ملتقى واحد هو النيل من القرآن الكريم، وفيما يلي عرض لبعض الوسائل التي استخدمت – فيما بعد- للطعن في القرآن الكريم:

لقد أثيرت الشبهات الطاعنة في القرآن الكريم من نواحٍ عدة، واتخذت وسائل برزت من خلالها، لذا يمكن تصنيفها من حيث الوسائل، والرد عليها إلى:

---

(16) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ج1/ 397، دار الفكر.

(17) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن، د. عبد الراضي المحسن:ص: 116، مجلة البيان، ط1 (1427هـ- 2006م).

(18) ينظر: تفسير ابن كثير: ج4/ 105، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (1412هـ- 1992م).

(19) ينظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: ص 199- 200، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.

(20) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي: ج275/18، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، (1423 هـ- 2003 م).

أ- ترجمة القرآن الكريم:

وبغض النظر عن تاريخ هذه الترجمة التي نشأت قديمًا[21]، وعن اللغات التي تُرجِم إليها القرآن الكريم[22]، فإنه من خلال الاطلاع على دوافع هذه الترجمات[23]، نجد أنها كلها تصب في قالب واحد هو النيل من القرآن الكريم.

ويمكن أن نستخلص وسائل الطعن في القرآن الكريم من خلال الترجمة نفسها، وتصنيفها إلى التالي:

- "قطع العلاقة نهائيًا بين النص الأصلي والنص المترجم، على يد إحدى الترجمات اللاتينية التي تعرض لها القرآن الكريم"[24].

- "عنونة الترجمات: حيث وضع المترجمون على أغلفة ترجماتهم للقرآن الكريم عناوين تشكل بذاتها مادة في الجدل في القرآن، حيث نفت الصلة بين القرآن الكريم، وبين الوحي السماوي، من ذلك –على سبيل المثال-: (القرآن أو قانون المسلمين لمحمد بن عبد الله.

- المقدمات والملاحق: حيث أضاف المترجمون إلى نصوص ترجماتهم للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية، وملاحق شارحة ليست لمضمون النص المترجم، بل إنها مطاعن في أصالته، وسخرية من محتواه، ومحاولات للحط من قدره، وبدءًا من ترجمات القرن العشرين نحت مقدمات الترجمات منحى التشكيك في سلامة النص القرآني!

- التلاعب بالترجمة: وذلك من خلال:

أ- تصدي غير المؤهلين لهذا العمل غير الهين، حيث عاملوا النص معاملة المؤلفات البشرية.

ب- بالنظر إلى هدفها نجده يكمن في ليّ النص وتمزيقه.

ج- إزاحة الآيات من مكانها التوقيفي.

د- عرض النص كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.

هـ - التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

- المحاكاة والتقليد: والهدف من ذلك: تكريس فكرة بشرية النص القرآني، التي تجعل نصه بشريًا قابلاً للمشاكلة، كما فعل ذلك أحد القساوسة الأسبان الذي تهجم على القرآن من خلال تقليد إحدى سوره!" [25]

أما الرد على هذه الوسيلة، فبالنظر إلى المنهج الذي اُتبع في ترجمة القرآن الكريم، هل كان منهجًا علميًا سليمًا، يهدف إلى الوصول إلى المعاني الحقيقية للنص القرآني، أم كان لها هدف آخر، ترتضيه نفوس هؤلاء المترجمين؟

---

(21) يرجع تاريخ أول ترجمة، إلى عام 1143م، وكانت باللغة اللاتينية، داخل أحد الأديرة النصرانية في فرنسا. ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص19.

(22) قيل إن عدد اللغات التي ترجم إليها القرآن الكريم إحدى وعشرين لغة. ينظر: المرجع السابق: ص18.

(23) ستأتي إليها الإشارة عند الحديث على أسباب الطعن في القرآن الكريم في المبحث الثاني بإذنه تعالى.

(24) هذا على سبيل المثال، وإلا فغالبية الترجمات طعنت بقوة في النص القرآني. ماذا يريد الغرب من القرآن: ص24.

(25) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص 41- 51، باختصار، وتصرف يسير.

تجيب على هذا السؤال الصحف البلغارية، حيث نوهت بالترجمة المشوهة التي قام بها (أرنسي هوبه)، قائلة: "لقد فعلها ذلك الألماني (هوبه)، وسنفصل المسلمين عن قرآنهم بترجمتنا البلغارية الجديدة"[26]. وهذه إحدى اعترافاتهم أنفسهم!

وبملاحظة المنهج الذي اتبع في هذه الترجمة، يُلاحظ أنه قام على قواعد، هي:

أ- "محاولة ترجمة النص وليس المعنى، وهذا باعتراف بعض المترجمين أنفسهم، حيث قال أحدهم –متحدثًا عن مقصود ترجمته-: "قصدت أن أقدم للقارئ نسخة من القرآن بالإنجليزية المعاصرة"[27].

وهذه الترجمة قد تكلم فيها العلماء، قال الدكتور محمد حسين الذهبي: "إن الترجمة الحرفية للقرآن، لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يُقصد منه، فالترجمة الحرفية بالمثل: معناها أن يُترجَم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما تحمّله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز"[28].

ب- "إغفال النص العربي في الترجمة، وذلك من خلال الاعتماد على التراجم الأوروبية السابقة، فكل ترجمة، كانت تترجم عن التي سبقتها، وهذا أدى إلى إغفال الأصل القرآني، وهذا أيضًا بتصريح جاء من بعضهم.

ج- إعادة ترتيب سور القرآن الكريم: رغم أنه من أبجديات الترجمة التزام المترجم نقل نظام المادة المترجمة، وترتيبها كما جاءت في الأصل، وهذا في النص الإنساني، ناهيك عن صرامة هذا الالتزام في الكتب المقدسة، إلا أن هؤلاء المترجمين تجاوزوا هذا الالتزام!" [29]

كل هذه الأسباب، وغيرها مجتمعة أدت إلى وهن هذه الترجمات، وبالتالي الوقوف ضدها واعتبارهاوسيلة من وسائل الطعن في القرآن الكريم.

2- الدراسات الغربية التي أنشئت حول القرآن الكريم: ويمكن تصنيفها إلى اتجاهين:

"دراسات استشراقية[30]، ودراسات تبشيرية[31]والتي كان من أهدافها الأساسية أنها تزعم وتحوم حول أن:

(26) المرجع السابق: ص50.

(27) المرجع السابق: ص52.

(28) ينظر: التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي: ج1/ 19- 20، مكتبة وهبة- القاهرة.

(29) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص54- 55.

(30) ويقصد بالاستشراق: دراسة الغربيين عن الشرق، من ناحية عقائده، أو تاريخه، أو آدابه، ...إلى غير ذلك. ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة ونقد، د. عمر بن إبراهيم رضوان: ج1/ 21، دار طيبة- الرياض، ط1 (1413هـ- 1992م).

(31) والتبشير هو: عبارة عن مؤسسة تنصيرية، هدفها تنصير المسلمين، من خلال العمل ضد القرآن، والإسلام بشكل عام. ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص 136، بتصرف.

- الإسلام هرطقة مسيحية.

- محمد نبي مزيف لا أخلاقي.

- القرآن تلفيق من كتب العهدين القديم والجديد، (بمعنى التشكيك في مصدرية القرآن الكريم)" [32].

وأنشئت آلاف الدراسات في هذه الجوانب، واتخذت عدة وسائل لتنفيذ هذه الأغراض ويمكن إيجازها بـ:

"تأليف الكتب: سواء تلك التي أفردت للدراسة حول القرآن، أو تلك التي تحدثت عن القرآن من خلال ما تضمنته من دراسات أخرى حول الإسلام وعقيدته[33].

3- تحقيق كتب التراث، سواءً تلك التي اهتمت بعلوم الشرق عامة، أو الإسلام خاصة في كل موضوع من مواضيع القرآن الكريم، والسنة، والفقه، وعلم الكلام"[34].

4- "إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة:

ومن أبر الدوريات المتخصصة في الدراسات القرآنية: مجلة العالم الإسلامي، التي أسسها القس الأمريكي (صمويل زويمر)[35]، ورأس تحريرها مدة ستة وثلاثين عامًا.

ومن أهم دوائر المعارف الغربية التي تخصصت في هذا المجال: دائرة المعارف الإسلامية، والتي يعمل على إصدار طبعاتها عتاة المستشرقين، والمبشرين.

قال الشيخ محمد رشيد رضا –واصفًا شر هذه الدائرة-: (إن نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق، هو أضر من شر كتب دعاة النصرانية (المبشرين) وصحفهم؛ لأن هذه قلما ينخدع أحد من عوام المسلمين بما فيها من الباطل، وأما هذا المعجم المسمى (بدائرة المعارف) الإسلامية المعزو أكثر ما نقل فيه إلى كتب المسلمين؛ فإنه يخدع أكثر القارئين له ممن يُعَدُّون من خواص المتعلمين؛ لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه، ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة ممن يتربصون بهم الدوائر)[36]" [37].

5- "إنشاء عدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة، لتكون من أهم وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن، وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين، وبالفعل فقد تم ذلك، حيث أنشئت خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية، في أكبر جامعات أوروبا وهي : (باريس،

---

(32) ينظر: المرجع السابق: ص142.

(33) فمن النوع الأول: كتاب القرآن، لريجي بلاشير، ومن النوع الثاني: كتاب عقائد الإسلام، لهرمان اشتيجلكر. ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن: ج1/ 110، ص:189، على التوالي.

(34) ينظر: المرجع السابق: ج1/ ص 47- 48.

(35) ينظر: ما ذكره الدكتور فضل عباس عن هذا القس الأمريكي، وما الذي أثاره حول بعض ما نشره حول القرآن، كتابه: مايقال عن الإسلام: ص211، مكتبة درا العروبة.

(36) ينظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا: مجلد34/ 386.

(37) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: 151- 153، باختصار.

أكسفورد، بولونيا، سلامنكا، جامعة الإدارة المركزية البابوية)، وعين للتدريس فيها مدرسون كاثوليك[38]"[39].

ويمكن الرد على هذه الوسيلة، وهي الدراسات الغربية التي أنشئت حول القرآن، باتجاهيها: التبشيري، والاستشراقي بما يلي:

بالنظر إلى هذه الكتابات، والمنهجية التي التزمتها، "فقد اتجهت بشدة لحرب الإسلام وأهله، مبتدئين حربهم بالهجوم على القرآن الكريم، فقد صرح بذلك وزير المستعمرات البريطانية في القرن العشرين: (أنه لن تستقر أقدام الإنجليز في الشرق الأوسط مادام القرآن يتلى بين الشرقيين)، وترقت هذه المناهج بعد أن ألبست هذه الأفكار بثياب العلم ومسوحه، فمن الملاحظ عليها التالي:

- أنها شبهات ومطاعن كانت تطلق من المبشرين المتعصبين، ولغرض ديني.

- اعتمادهم على المراجع الواهية، في كتاباتهم سواء عن القرآن بشكل خاص أو الإسلام بشكل عام، مثل كتب الأدب ونحوها .

- اعتمادهم على كتب زملائهم من المستشرقين ككتابات (جولد تسيهر)[40]وغيره.

- وضع فكرة معينة في أذهانهم، ثم البدء بتصيد الأدلة لإثباتها على عكس المنهج العلمي الاستدلالي، وغالبًا ما يضطرهم هذا المنهج إلى الكذب والمغالطات واقتطاع النصوص وتحريفها.

- دس بعضهم مقدارًا من السم في مؤلفاتهم، ولا يزيدون على هذا المقدار، حتى لا يستوحش القارئ، ولا تضعف ثقته بنزاهة المؤلف، كما فعل (بروكلمان) في كتابه: تاريخ الأدب العربي، حيث سار سيرًا منهجيًا، وعندما تحدث عن القرآن وجمعه لم يستطع إخفاء العداء، فاعتبر القرآن أنه نوبات صرع كانت تأتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

- اعتمادهم على روايات مكذوبة، أو ضعيفة، أو قصص مختلقة أثناء حديثهم عن الإسلام أو القرآن، أو نبي الإسلام عليه الصلاة السلام[41].

-استنباط الأمر الكلي، والقواعد الكبرى وتعميمهم للحوادث الجزئية، والمسائل الفرعية، فنتج عن ذلك أخطاء جسيمة، من ذلك ما بنى عليه بعض المستشرقين على وجود بعض الكلمات في القرآن متشابهة مع بعض اللغات الأخرى على أن القرآن ليس عربيًا، ومصدره لغات وديانات شتى.

---

(38) الكاثوليك: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ج2/ 47، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4 (1420هـ).

(39) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص136.

(40) ينظر: مخالفاته المنهجية، واضطرابات النصوص التي يوردها، والتناقض بينها، كتاب: الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل: ص 27- 65، ط2 (1423هـ- 2002م).

(41) ينظر: أيضًا ما ذكره الدكتور أبو شهبة حول ذلك في: مدخل لدراسة القرآن الكريم: ص 232،ص 366، دار اللواء- الرياض، ط3 (1407هـ- 1987م).

- لوحظ على كتاباتهم بشكل عام عدم النزاهة، والدقة، والتجرد؛ لذا جاءت أبحاثهم فجة مليئة بالأخطاء"[42].

ومن الوسائل التي استخدموها كذلك :

- "استخدام الاستعمار الغربي مفكرين من المسلمين لهذا الغرض:

وقد تحقق لهم هذا الغرض، ومن أبرز هؤلاء المفكرين المحسوبين على الإسلام: الزعيم (السيد أحمد خان) في الهند، والذي تعتبر دعواه التي ادعاها باسم الإصلاح والتقدمية، مقدمة وتمهيدًا لنشأة القاديانية[43]، وبالفعل فقد ظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين، ونادى بألا وجود إلا للطبيعة العمياء، وأنه ليس لهذا الكون إله حكيم –تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، وكتب كتابًا في تفسير القرآن، فحرف الكلم عن مواضعه، وبدل ما أنزل الله!" [44].

وبالرد على هذه الوسيلة، ننظر إلى المنهج الذي قامت عليه هذه الدعاوى، كدعوة السيد خان، "حيث نادى بإعادة تأويل القرآن، وتطويع مفاهيم الإسلام لموافقة قيم الغرب وآرائه، بجرأة وصراحة، ومن ذلك فهمه لبعض القضايا القرآنية، على سبيل المثال: فهمه للألوهية، كما هي عند الفلاسفة، أنها العلة الأولى، والله خلق الكون والطبيعة، ووضع لها قوانين، لكنه لا يتدخل في هذه القوانين بعد ذلك! إلى غير ذلك"[45].

- "ما يبث في لقاءات مختلفة عبر المحطات التلفزيونية، أو عبر الصحف والمجلات والمؤتمرات، سواء التطاول على القرآن، أو نبيه، أو الدين الذي جاء به، من ذلك ما أذيع في أحد البرامج في أكتوبر 2002م، عن ما يسمى بـ (جيري فال)، حيث قال: (كل ما عليك هو فقط أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن، إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين..إنه رجل متعصب إلى أقصى درجة)"[46].

- "ما يُنشر في المواقع الإلكترونية من محاولات ضالة لمعارضة القرآن الكريم، كموقع: (SURALIKELT-UK)، ومما نشروه فيها زعمهم أن القرآن يدعو إلى عقائد شديدة الكفر والضلال، تدعو إلى أن المسيح ابن الله، أيضًا نشر سور يختلقونها بأنفسهم -والعياذ بالله- وهم في هذا يحاكون من سبقهم ممن تقول على القرآن، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وغيرهم"[47].

---

(42) ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن: ج1/ 75- 89، باختصار وتصرف، وينظر ما كتبه أنور الجندي عن أخطار هذه الدراسات، والدوائر، والأخطاء التي شملتها، في كتابه: سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية: ص7- 26، دار الجيل- بيروت، ط2 (1405هـ-1985م)، وينظر: وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، د.حسن ضياء الدين عتر: ص38- 40، دار المكتبي- سوريا، ط1 (1419هـ- 1999م).

(43) القاديانية: حركة نشأت سنة 1900م، بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، ويعتبر: مرزا غلام أحمد القادياني 1839- 1908م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، إذن هي: دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، أفتى علماء الإسلام بكفرهم. ينظر أيضًا معتقداتها: الموسوعة الميسرة: ج1/ 416 – 419.

(44) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهي: ص27- 30، باختصار، مكتبة وهبة، ط(4).

(45) ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن: ج2/ 320.

(46) ينظر: أسرار الهجوم على الإسلام: ص 4، 5 باختصار، د.علي بن علي الشدي، دار الوطن للنشر.

(47) ينظر: هجوم الإنترنت على القرآن- محاولات ساقطة لمعارضة القرآن وسب نبي الإسلام، أ.د. توفيق علوان: 5-12، باختصار، دار بلنسية.

ويمكن الرد على هذه الوسيلة من خلال التالي[48]:

- يجب على كل قادر ومتابع للأمر أن يدافع عن عقيدته بالشكوى الفورية، لمن يظن بهم القدرة على سد هذا الباب جملة، ممن لهم الصلاحية للمراجعة لهذه البرامج والمواقع الكافرة.
- التوجه لكل قناة وكل موقع إسلامي لفضحها، وفضح أغراض هذه المواقع.
- الكتابة إلى الصحافة ووسائل الإعلام العربية والأجنبية باللغات جميعها –ما أمكن- لمقاومة موجة التهجم على كتاب الله الكريم.
- عقد الندوات في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والتعرف على ما يستجد من تطورات في هذه المجالات الإعلامية، إلى غير ذلك.

المبحث الثاني: اسباب الطعن في القرآن الكريم وبيان حقيقتها

إن الناظر لوسائل الطعن في القرآن الكريم، منذ أن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى يومنا هذا، يتيقن أن هناك أسبابًا كانت وراءها، والتي كان نتيجتها تلك المطاعن التي سلطت على كتاب الله العزيز.

وهذه الأسباب يمكن بيان حقيقتها من خلال تصنيفها ضمن دوافع عدة، وهي كالتالي:

أولاً دوافع نفسية:

وتتمثل في الأسباب التالية:

- عملوا على تزييف الحقائق، وتحريفها، "لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم. وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلّق بالمعاذير الكاذبة"[49]،كما جاء عن كفار قريش، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، من إلصاق التهم بكتاب الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم.
- التعنت، ومعاندة الحق حتى بعد ظهوره.
- ومن الأسباب أن القرآن الكريم، سفه أحلام المشركين، وفرق كلمتهم، فلم يعد لهم شأن فكرسوا كل جهودهم في النيل منه.
- من ذلك أيضًا: الاغترار بالأموال، مما أدى إلى معارضة هذا القرآن، بحجة عدم نزوله على أحد أشراف قريش.
- ومنه حب السيادة والظهور على الآخر، يمكن اعتباره سببًا -ذا طابع نفسي- للطعن في القرآن، وعدم قبوله، كما فعلت قريش، ويشهد لذلك ما روي عن أبي جهل أنه قيل له: "يا أبا الحكم! ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه"[50].

---

(48) ينظر: المرجع السابق: ص30- 33، باختصار شديد.
(49) ينظر: التحرير والتنوير: ج 7 / 142، دار سحنون- تونس، 1997م.
(50) ينظر: تفسير ابن كثير: ج2/ 134.

- وكما مثل القرآن في زمن نزوله كابوسًا مرعبًا للمشركين آنذاك، فكذلك صار على المكابرين والمعاندين في العصور التي تَلَتْهُم، من ذلك "خوف المستشرقين من الدعوة التي نادى بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي (فكرة العودة إلى القرآن الكريم)؛ لدفع ما ساد من عصبية جاهلية للمذاهب الكلامية والفقهية، وما ترتب عليها من انقسام المسلمين إلى طوائف؛ لذا عندما وقف المستشرقون على هذه الفكرة، ورأوا أثرها الإيجابي في حياة الجماعة المسلمة، لو سارت على المنهج الصحيح، مالوا بها عن هذا الطريق، وبدأوا يطعنون في هذه الفكرة، ويحولونها عن الهدف التي رسمت له"[51].

- "الحقد المحض على الإسلام، وكتابه، ونبيه صلى الله عليه وسلم، ويظهر هذا واضحًا من خلال كتاباتهم في مؤلفاتهم، قال كيمون المستشرق الفرنسي في كتابه باثولوجيا الإسلام: (إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هي مرض مريع وشلل قائم...يلجئهم إلى تكرار لفظة (الله)، إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة: ككراهة لحم الخنزير، والنبيذ، والموسيقى،...)"[52].

- "إدراكهم الحقيقي لأهمية كتاب الله لدى المسلمين، ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه باعث نهضتهم، ومحيي همتهم، وموحد كلمتهم، وسبب نجاتهم وقوتهم، لذلك لجأوا إلى الطعن فيه، باعتباره عدوهم الأكبر، قال أحد القادة الإسرائيليين: (هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن، هو العدو الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتابًا يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟ على حكام العرب أن يختاروا إما القرآن، أو السلام معنا)، وقال آخر: (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلّم هؤلاء الناس –يعني المسلمين- أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا)" [53]، لذا فإنهم قد أعلنوا الحرب على القرآن.

ثانيًا: دافع معرفي:

ويتمثل قديمًا: "بإخفاق مشركي قريش في معارضة كتاب الله عز وجل، وقد زعموا أنه باستطاعتهم الإتيان بمثله، فلماذا لم يفعلوا؟ والحقيقة أنهم تيقنوا أنه لا قبل لهم به، وأنه مما لا يستشرى الطمع فيه، لذا فلم يكن منهم إلا الصد عنه"[54].

"وفي القرون الوسطى جاء الافتراء والطعن في القرآن، نتيجة إخفاق الكنيسة في مواجهة الإسلام، حيث تتهاوى عقيدة التثليث أمام عقيدة التوحيد لله تعالى، يضاف إلى هذا انعزال الكنيسة عن الحياة، في مقابل أن الإسلام دين ودنيا، فلم يكن أمام الكنيسة من سبيل لصدِّ النصارى عن الدخول في الإسلام سوى تشويه رسالة الإسلام، حفاظا على سلطان الكنيسة ومغانمها، وهكذا حتى الوقت الحاضر فإن إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام فكريًا على

(51) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث: ص 59بتصرف.
(52) ينظر:المرجع السابق: ص66- 67باختصارز وينظر في ذلك: دعاوى الطاعنين: ص90.
(53) ينظر: دعاوى الطاعنين: ص 72- 73، باختصار.
(54) ينظر: علوم التفسير، د. عبد الله شحاتة: ص 70، دار الشروق- القاهرة، ط1 (1421هـ- 2001م).

الرغم من هزيمة المسلمين سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، فإنهم ما زالوا يمارسون فكرة نبذ وإقصاء الآخر، بما يمارسونه من أساليب الطعن ضد القرآن، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام"[55].

ثالثًا: دافع ديني:

ويتمثل في الأسباب التالية:

- التعلق بالموروثات التي ورثوها عن آبائهم، وأجدادهم، من عبادة الأصنام، وتقديس ذلك، والتقليد الأعمى له، كما فعل مشركو قريش.

- أما ما اتبعه الزنادقة، ومن حذا حذوهم من قبلهم أو بعدهم، في ادعائهم تناقض القرآن، واتباع متشابهه، فكان لأجل تشكيك المسلمين بكتاب ربهم، بعد ما عرفوا أنه يقف ضد مراميهم، قال الإمام القرطبي في تفسيره: "قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه: متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه، ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن"[56].

- جاءت مطاعنهم التي ملئت بها كتبهم، في مواجهة انتشار الإسلام، ومدى تأثيره على القلوب، واعتناق كثير من الغربيين له، لذا سعوا جاهدين لإثارة شبهاتهم، وفي مقدمتها تلك التي أثيرت حول القرآن، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، للحيلولة دون وصول الإسلام إلى أقوامهم[57].

- "إخفاء حقيقة تزوير اليهود والنصارى للكتب المقدسة، بعد أن فضحهم القرآن في كثير من آياته، إما بالإخفاء والكتمان، قال تعالى: **(**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**)** [الأنعام: 9]، أو بالتغيير المتعمد، قال تعالى: **(**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**)** [البقرة: 75]، إلى غير ذلك من الآيات كتلك الذي رفضت زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وذمت أخلاقهم، وفضحت خطيئاتهم بما يعنيه ذلك من طعن في مشروعية امتلاك حق مقدس في قيادة البشرية، لذا كان هذا الموقف القرآني من العهدين القديم والجديد جدارًا صلبًا أمام نجاح الفكر الغربي"[58]، والذي يسعى إلى إبراز أحقية ديانتهم، وما هم عليه، في مقابل الطعن في القرآن الكريم، وتهوين الدين الذي يحمله.

---

(55) ينظر مقال: لماذا الهجوم على القرآن، نشر على أحد المواقع الإلكترونية:
www.mohameddawood.com
وينظر، ما حكي عن الكنيسة: آراء المستشرقين: ج29/1، 37، وقد عدَّ ذلك كدافع ديني.

(56) الجامع لأحكام القرآن: (ج4/ 13- 14.

(57) ينظر حول ذلك: أسرار الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام: ص12، وينظر: ردود على شبهات المستشرقين، د. يحيى مراد: ص47- 48، بحوث ودراسات.

(58) ينظر: ماذا يريد الغرب من القرآن: ص118- 120بتصرف واختصار.

- "محاولة إبطال المعجزة القرآنية، والذي يهدف إلى فك التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن، والوحي والرسول المبلغ عليه الصلاة والسلام، وهذا بدوره سيؤدي إلى الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وسوف يفضي بعد انتشاره إلى انحلال الروح الدينية من أساسها"[59].

- "الوصول إلى الهدف الحقيقي للطاعنين – من اليهود والنصارى-، وهو محاولة تنصير المسلمين"[60]، أو تهويدهم، وهذا الغرض قد أشار إليه القرآن منذ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **(**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**)** [البقرة: 120]، قال الإمام القرطبي في تفسيره: "المعنى : ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم"[61].

(59) ينظر: المرجع نفسه: ص120- 121، بتصرف.
(60) ينظر: آراء المستشرقين: ج1/ 29.
(61) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ج2/ 93.

الخـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعـد: فبعد أن عايشت هذا البحث، متنقلة بين بطون الكتب التي حوت مادته، فإنه يمكنني أن ألخص عدة نتائج أضمنها هذه الخاتمة، وهي:

- حملة الطعن في كتاب الله العزيز ناشئة منذ نزوله على نبينا عليه الصلاة والسلام.
- تنوع أساليب الطعن التي سلطت على كتاب الله قديمًا وحديثًا، وإن كانت قد أخذت في الحاضر صورًا وأشكالاً، إلا أن جذورها متأصلة منذ أن بدأ الطعن فيه.
- هؤلاء الطاعنون في كتاب الله سخروا كل جهودهم للحيلولة دون تأثير القرآن، على أتباعهم بما يبذلونه من وسائل متنوعة، وصلت إلى حد أنهم سلطوا عليه من هم محسوبون على الإسلام.
- جحود وطغيان، وعناد هؤلاء الطاعنين، إضافة إلى أسباب أخرى يسعون من ورائها للوصول إلى أهدافهم، سوغت لهم أن يستخدموا وسائل مهما كان شكلها وقيمتها، استنادًا لما يقال عندهم: (الغاية تبرر الوسيلة) .
- هذه الوسائل المستخدمة واهية جدًا، لمن أدرك سر ضعفها، فهي لا تقوى على مواجهة الحق ونوره، وصدق الله القائل: **(**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**)** [الصف: 8].

التوصيات:

- يجب النظر بعين الحذر لما يشنه أعداء القرآن من مطاعن حول هذا الدين، وما يمارسونه من وسائل مقروءة أو مسموعة، أو مرئية، وعدم إغفال ذلك، فإنهم –كما يقال- يدسون السم في الدسم، ولا يتنبه لذلك إلا القليل.
- العناية بإبراز أخطاء وأوهام تلك الدراسات الغربية التي أنشئت حول القرآن، وإن كانت المؤلفات قد نحت منحىً لا بأس به في مواجهة ذلك.
- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس أبنائها، وخاصة أولئك المبتعثين للدراسة في دول الغرب، حتى لا ينخدعوا بمظاهر تلك الحضارة التي تخفي وراءها كل قبيح يهدف إلى النيل من الإسلام.

فهرس المصادر

- القرآن الكريم.
- آراء العلماء في تحديد أوجه الإعجاز، د. عبد الله القرني، مكة المكرمة.
- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة ونقد، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة- الرياض، ط1 (1413هـ- 1992م).
- الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط3 (1409هـ- 1989م).
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس، 1997م.
- التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة- القاهرة.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، (1423 هـ- 2003 م).
- الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، ط2 (1423هـ- 2002م).
- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط1(1424هـ- 2003م).
- أسرار الهجوم على الإسلام، د.علي بن علي الشدي، دار الوطن للنشر.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم -بيروت – لبنان، ط4 (1407 ه - 1987م).
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهي، مكتبة وهبة، ط(4).
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بابن سيده، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1(1417هـ 1996م).
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وآخرين، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4 (1420هـ).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (1412هـ 11992م).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تقديم الشيخ: خليل الميس، دار الفكر.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.
- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، د/ عبد المحسن بن زين المطيري، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1 (1427هـ- 2006م).
- ردود على شبهات المستشرقين، د. يحيى مراد، بحوث ودراسات.
- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، دار الجيل- بيروت، ط2 (1405هـ-1985م).

- سنن الدارمي، أبو محمد الدارمي، تحقيق : فواز زمرلي، وآخر معه، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1(1407هـ).
- علوم التفسير، د. عبد الله شحاتة، دار الشروق- القاهرة، ط1 (1421هـ- 2001م).
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- لسان العرب، لابن منظور، أدب الحوزة - 1405هـ.
- ماذا يريد الغرب من القرآن، د. عبد الراضي المحسن، مجلة البيان، ط1 (1427هـ- 2006م).
- ما يقال عن الإسلام، د. فضل عباس، مكتبة درا العروبة.
- مجلة المنار، محمد رشيد رضا، الموسوعة الشاملة.
- مدخل لدراسة القرآن الكريم، د. أبو شهبة، دار اللواء- الرياض، ط3 (1407هـ- 1987م).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1 (1415هـ- 1995م).
- ميزان الاعتدال، لمحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
- هجوم الإنترنت على القرآن- محاولات ساقطة لمعارضة القرآن وسب نبي الإسلام، أ.د. توفيق علوان، دار بلنسية.
- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، د.حسن ضياء الدين عتر، دار المكتبي- سوريا، ط1 (1419هـ- 1999م).
- المواقع الإلكترونية: www.mohameddawood.com